الفروسية بين أبي فِراس الحمداني والسعدي الالبيري
دراسة فنية

م.د شيماء هاتو فعل البهادلي

جامعة البصرة كلية التربية

الخلاصة

يتجلى أفضل تناول لأغراض الشعر لدى الشاعرين أبي فِراس الحمداني والشاعر الأندلسي السعدي الالبيري في غرض الفخر ولاسيما مظاهر الفروسية والبطولة الطاغية على أشعارهما ، وهذا البحث يشير إلى جوانب بطولية لدى الشاعرين ، وهما قد شاركا في الحروب والمعارك التي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في ظهور عدة الحرب ، ومعرفة أجلهما وتوقع حدوثه في الحرب ، بل وتفضيل الموت في ساحات الردى . وإعجابهما بشخصية كان لها أثر كبير في حياتهما وهما : سيف الدولة ، وسوار بن حمدون ، وقد كانا قائدين في المعارك ، فضلا عن تعرض الاثنين للسجن ، وحنين السعدي إلى والديه وزوجته ، وحنين أبي فراس إلى والدته وابنته ، ونلاحظ في شعر أبي فراس طغيان ظاهرة الأنا أكثر مما نلمسه في شعر السعدي الإلبيري الذي تجلَّى في شعره ضمير الجماعة بشكل ملفت للنظر ، وهذا يعود إلى طبيعة الشخصيتين ، وموقفهما من المجتمع أو موقف المجتمع من كلٍّ منهما . فضلاً عن الحالة النفسية التي يعانيها الأديب الشاعر.

مقدمة

من شعراء الفروسية الشاعر أبو فِراس الحمداني الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي ، كان أبوه والياً على الموصل للخليفة الراضي ، ومشهوراً مثل أخوته وأبناء أسرته بالفروسية والشجاعة اقترن برومية أنجب منها ابنه الحارث سنة(٣٢٠هـ - ت ٣٥٧هـ) ، لقّبه أبو فِراس وهي كنية الأسد رمزاً لفروسيته ، ولم يلبث ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة الحمداني أنْ شارك الأم في العناية والرعاية ، وقد منحه ضيعةً بمنبج بلده قرب حلب ، وقد كان " الفخر هو الموضوع الذي ساد في شعره ، فخر بقبيلته تغلب وأمجادها منذ الجاهلية ، وبأسرته الحمدانية ومناقبها وما قدمته للعباسيين من انتصارات على الخوارج والقرامطة ، وعلى الروم البيزنطيين ، وفخر بمثاليته الخلقية الكريمة وبطولته "(١) .

وأما الشاعر الأندلسي السعدي الإلبيري هو سعيد أبو عثمان بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي وترجح ولادته (٢٣٨ – ت ٢٨٤) ، وهو من هوازن من جُند دمشق ، كان من أهل العلم والفقه ولاّه الأمير عبد الرحمن الداخل قضاء ألبيرة حين بلغه ورعه وزهده " وقد كان سعيد فارساً بارع الفروسية ، ومحارباً عنيداً ، وسياسياً مقنعاً وقد تسلم رياسة العرب في منطقته بعد وفاة سلفه سوَّار بن حمدون "(٢)

وتكاد أن تكون ملامح الحياة التي عاشها الشاعر السعدي الالبيري في عهد الأمير عبد الله بن محمد سابع أمراء البيت الأموي في الأندلس الذي يعد من أشد أوقات الدولة صعوبة ؛ لتكالب دول الشمال على الدولة مستغلين الحركات الداخلية ، فضلاً عن دعوات خطيرة لها نزعات إنفصالية أو إستقلالية ، ضد المجتمع الأندلسي بقيمه ووجوده (٣) ، تقترب من ملامح حياة أبي فِراس الحمداني في العصر العباسي إذ " شهد القرن الرابع للهجرة منذ بدايته انحساراً سياسياً واضحاً في ثقل الخلافة وفي قدرتها على التعبير عن وحدة الأمة العربية وسيادتها... وبدأ الوجود العربي مهدداً منذ بداية هذا القرن بشكل يظهر وضع الدولة العربية وهي على حافة التمزق والانهيار"(٤) وقد شهد العصر العباسي تجزئة البلاد والأقاليم العربية الإسلامية ، أي تقسيمها إلى ممالك ودويلات ، يقوم على أمورها أناس لم تكن تربطهم بالعرب والعروبة أي وشائج ، استجلبهم الخلفاء بدواعي الأمن الشخصي ، فاستولى بعضهم على مركز الخلافة ، وجاهر آخرون بآمال عديدة في تقويض بقايا السلطان العربي وهدمه (٥) . وهذا نجده مشابهاً

للأوضاع السياسية في الأندلس خلال هذه المرحلة ، إذ كان قراءة ثانية لما شهده العصر العباسي من تغيرات ومن صراعات ونزاعات وتحديات مختلفة .

ولهذا قسم البحث إلى عدة مظاهر في ضوء شعر الفروسية لكلا الشاعرين فنقاط الالتقاء والاختلاف تبدو واضحةً فيها :

١ـ المظهر الأول : الفخر الفردي والجماعي

هناك مشاعر وأحاسيس يجسدها الشاعر في شعره ، فتنهض هذه المشاعر في غرض الفخر عندما يفتخر بنفسه أو قبيلته ، أو يعجب بشخصية ما فيفتخر بشجاعتها وبطولاتها وبسالتها إذ " لا تنطلق التجربة الشعرية من فراغ ، بل هي حصيلة تفاعلات عدة ، تعتمد على المدركات المتزاحمة في ذهن المبدع ، والتي تكونت عبر تجارب متباينة وفي أزمنة متباعدة ، لذلك فالتجربة مليئة بالتعقيد والتداخل وبعض الغموض شأن العناصر الداخلة في تشكيلها ، والتي تمثل الحياة الإنسانية بكل همومها ومشاكلها ..."(٦) أو يكون هذا الغرض متداخلاً مع أغراض أخر عندما يمدح مشيراً إلى شجاعة القائد ، أو عندما يكون راثياً لشجاعته وصولاته فالشجاعة " سمة حسنة في الإنسان ؛ وذات أثر فعال في سلوكه ، لأنها تمده بطاقة معنوية هائلة تجنبه الوقوع في شرك التقاعس والتراخي في أداء واجباته التي تتطلب إرادة صلبة ، وتمكنه من الثبات في وجه الأزمة التي تحاصره والتغلب عليها ، وتجاوزها ، وشجاعة الإنسان تتجسد بصموده في وجه المحنة القاسية التي يعاني منها ، وبسعيه الدؤوب من أجل التغلب عليها ، وتجاوزها بإصرار شديد "(٧) أو حتى متغزلاً ، ولكنه عندما يكون هاجياً فأنه يطعن المهجو واصفاً إياه بالجبن والذلة والهروب من ساحات الوغى.

ففي قول الشاعر أبي فراس الحمداني (٨) :

وإني لجرار لكل كتيبة
معودة أن لا يخلّ بها النصرُ
وإني لنزال بكل مخوفة
كثيرٌ إلى نزّالها النظر الشزرُ
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا
وأسغب حتى يشبع الذئب والنسرُ

نلحظ أنَّ الشاعر عندما يفتخر بنفسه " ويكون طامحاً إلى التميز والتفرد ؛ تارة بدوافع فطرية غريزية أنانية ، وأخرى في الإنصاف ونفوراً من التقزيم " (٩) واصفاً إياها بالشجاعة والكرم والقيادة والمدافعة ومشيراً إلى الكتائب التي تكون تحت أمرته ساعياً ومجاهداً مقابل الحنكة التي يقتل بها العديد فيلقيهم صرعى مثخنين بجراحهم .

فضلاً عن قوله (١٠) :

فمثليَ من نال المعالي بسيفهِ
ورَّبتما غالتْه عنها الغوائلُ
وما كل طلاّب من الناس بالغ
ولا كل سيّار إلى المجد واصلُ
وما لي لا تمسي وتصبح في يدي
كرائم أموال الرجال العقائلُ
أُحكّم في الأعداء منها صوارماً
أحّكمها فيها إذا ضاق نازلُ

تنبض أبياته بالحكمة التي تقترن بصولاته التي حاز فيها المعالي والمكانة الرفيعة " ففي الحماسة والفخر قد تثور النفس الأبية لكرامتها ، ويتملكها من أجل ذلك انفعال نفسي ..."(١١) ، والشاعر كان رجلاً كريماً سخياً ينفق أمواله دفاعاً عن الوطن ، ومما لا شك به فإن (أنا) الشاعر لم تكن حاضرة فقط في هذه الأبيات وإنما تكاد أن تكون في أغلب أبياته ، وهذا أمر بديهي ، وهو يتحدث عن بطولاته الحربية وصفاته في البذل ، ولم تكن هذه السجايا غريبة عنه ، بل إنها متأصلة في نفسه ، اكتسبها من قبيلته ، فأصبحت من مزاياه .

أما الشاعر السعدي الإلبيري فقال في صورة تلمح إلى فخر الشاعر بنفسه وبقومه الذين أخافوا العدو مشيراً إلى شجاعتهم وأحقيتهم بالخلافة (١٢) :

قل لعبد الله يشددْ في الهربْ
نَجَمَ الثائرُ من وادي القصبْ
يا بني مروان خلّوا ملكنا
إنّما المُلْكُ لأبناء العربْ
قرّبوا الورد المحلّى بالذهب
واسرجوه إنَّ نجمي قد غلبْ

لو سلطنا الضوء على هذه الأبيات السابقة الذكر ، نلاحظ أن الشاعر يعرب عن شجاعته وبسالته التي يرهب العدو بها و يخيفه ويحذرهم من قوة خصمه وبطشه الثائر الذي جاء بها من تلك المدينة التي يشير إليها (بوادي القصب) وخاطبهم ببني مروان لأن الملك خص بالعرب

وأبنائهم من أجل نيل السلطة والحكم ، فهو لذلك يوصيهم بالهروب وترك ساحات المعركة .

في حين يُعرّض أبو فراس الحمداني بالأعداء مبرزاً جانب الفخر بنفسه قائلاً (١٣) :

ومعود للكر في حمس الوغى
غادرته والفر من عاداته
حمل القناة عَلَى أغرَّ سميذع
دخال ما بين الفتى وقناته
لا أطلب الرزق الذليل مَنالهُ
فوت الهوان أجلُّ عن مقتاته
علقت بنات الدهر تطرق ساحتي
لما فضلتُ بنيه في حالاتهِ
فالحرب ترميني ببيض رجالها
والدهر يطرقني بسود بناتهِ

يوجه الشاعر خطابه للأعداء معيباً عليهم هروبهم من ساحات الوغى لأنهم أشخاص يحتمون بالآخرين ويجعلونهم مدافعين عنهم متخذينهم جُنَّةً لهم ، فهو يستنكر ذلك مستهجناً أعمالهم وأساليبهم الدنيئة رافضاً الحياة والكسب والرزق الذي فيه ضعة وهوان ، ولعل تضاد الألوان وهي (اللون الأبيض ، واللون الأسود) يوضح تغير الحال وخبرته بمصائب الحياة ونوائبه ، فضلا عن المقابلة بين (الدهر ، والحرب) والاثنان مليئان بالتغييرات والمفاجات ، مستعملاً معهما الفعل (ترميني للحرب ، ويطرقني للدهر) للدلالة على كثرة الأعداء المتكالبين عليه ، فضلاً عن تعاون الحرب والدهر معاً ضده . وبذلك تكون الشجاعة والكر من صفاتهم ، والفر والجبن والخزي والعار للأعداء .

وفي صورة للشاعر السعدي الإلبيري قائمة على التشبيه ، تشبه جثث الأعداء بالحصيد الملقى فوق ظهر الأرض يقول فيها (١٤) :

فما كان إلا ساعة ثم غودروا
كمثل حصيد فوق ظهر صعيد

فهم بعد المواجهة والاقتتال جعلهم صرعى قتلى ، وأصبحت الغلبة والنصرة لهم ، فالشعر لم يكن ولن يكون شعراً ثورياً بأوسع معاني الكلمة ، ويستحق هذا الوصف بجدارة ، إلاّ إذا انطوى على رؤية للواقع ، ترفض فيه عنصر السكون وتتمرد عليه (١٥).

ولأبي فِراس فخر بقبيلته يقول فيها (١٦) :

إذا مررت بوادٍ جاش غاربه
فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا !
وإنْ عبرت بنادٍ لا تطيفُ به
أهل السفاهة فاجلس ذاك نادينا !
نُغيرُ في الهجمة الغراء تنحرها
حتى ليعطشُ في الأحياء راعينا

يظهر أبو فراس كرم قبيلته ، ففضيلة الكرم عند العرب بشكل عام ، والفرسان بشكل خاص جانب مهم من منظومة القيم الأخلاقية إذ هي ضرورة من ضرورات الحياة لديهم (١٧) فضلاً عن دفاعها وقوتها ورجاحة عقولهم وحكمتهم مغيرين ومدافعين عن أوطانهم .

٢- المظهر الثاني : الرمز القيادي

كلا الشاعرين أعجبا بشخصية قائد فراحا يذكرانه في أشعارهما ، ويتغنيا بأمجاده وبطولاته مشيدين بصفاته وخلاله الحميدة مثل : الشجاعة ، والكرم ، والعزة ، ونيل المعالي وغيرها من الصفات ومناقب الفروسية . وتشيع خطابات النصر والفخر والزهو والإقدام لدى شعراء الفروسية والبطولة والتحدي الذين خاضوا غمار الحروب ، فكانوا قادة يمارسون القتال ، ويشاركون في المعارك دفاعاً عن أوطانهم ، وحفاظاً على كرامتهم مقروناً بقريحتهم الشعرية . فنلحظ ذلك مترجماً شعراً يفتخرون به ، ويشيدون فيه ؛ لأن " الشعر أوثق الفنون اتصالاً بوجدان الأمة العربية، وألصقها بملامح شخصيتها ومنازعها في حياتها، والشعر أيضاً ديوان العرب ، خالط حياتهم وعبر بصدق عن منازعهم.ولسنا نعرف أمة تغلغل الشعر في حياتها تغلغله في حياة العرب "(١٨)

ففي قول الشاعر أبي فراس الحمداني (١٩) :

إذا كان "سيف الدولة" الملك كافلي
فلا الحزم مغلوب ولا الخصم غالبُ
إذا الله لم يحرسك مما تخافه
فلا الدرعُ منّاعٌ ولا السيف قاضبُ

تبدو المكانة والمحبة التي يحملها الشاعر لابن عمه سيف الدولة واضحة ، فهو القائد والكافل والمعتمد عليه فواقع حال الشاعر يفصح عن إيمانه وتوكله على الله ؛ ليدل على استسلام وإيمان مطلقين بالله تعالى .

فقد نظم السعدي قصيدة في صديقه وقائده في المعارك ، معجباً ببسالته ، مشيداً ببطولته ، إذ إنَّ سيف سوّار محق الأعداء وأفناهم من الوجود ،

كما توحي بذلك لفظة اضمحلوا ، حتى ألبسهم الذل والخضوع والصغار ، حتى حكمّ السيف في رقابهم وجعل القتل فيهم حلالاً ، نظراً لما اقترفوا من ذنب " (٢٠) :

لسوارٍ على الأعداء سيفٌ
أباد ذوي العداوة فاضمحلوا
لقد زلت رقابهمُ بصغرٍ
فصادمهم شديدُ البأسِ صلُ
سقاهم كأس حتفٍ بعد كأسٍ
بها نهلَ العبيدُ معاً وعلوا
وقد رُفعت لسوارٍ قناةٌ
بها خضعت رقابهمُ وذلوا
قناةُ المجد مركزها عزيزٌ
حماها مانعٌ لا يستذلّ
قتلت بواحدٍ- سوارُ! – ألفاً
وألفهمُ بواحدنا يقلُ
فأكثر قتلنا لهم حَلالٌ
بما ارتكبوهُ ظلماً واستحلَّوا

يكرر الشاعر كثيراً المعاني والألفاظ في أثناء حديثه عن القائد سوار ومنها (شدة بأسه ، قوته ، عروبته ، جوده وكرامته) مستعملاً بحر الوافر بتفعيلاته ، ليروي لنا قصة هذا البطل وحكاياته الشيقة التي دافع بها عن الوطن ، مستلهماً منه العِبر والمواعظ ليتسنم من بعده القائد الذي سار على منوال صديقه ، مضيفاً إلى ذلك قوله :

أضاف إليهمُ رجلُ تقيٌ
فجاءُوا فيه أمراً ما يحلُّ
فأوردنا رقابهمُ سيوفاً
تشبَّ النار منها إذ تسلُّ
فقد سُفكت دماؤهمُ وطلّتْ
وليس لنا دمٌ يوماً يطلُّ
رواقُ المجدِ مضروبٌ علينا
منيعُ الجانبين فما يزلُّ
سمونا فوق عرشِ المجدِ قدماً
وعرشُ المجدِ فيه لنا محلُّ
ورثنا المجدَ عن آباءِ صِدقٍ
وإرثُكمُ – بني العُبدان – ذُلُّ
وأخضعنا رقابكمُ فذلت
فليست ما حييتم تستقلُّ!

موضحاً فيه أحقيتهم بالخلافة ودفاعه عن وطنه ، وإنهم أصحاب حقٍ في أرضهم ، ومن يقاتلونه هم أناس متطفلون عليهم ، يريدون سلبهم حريتهم وإرادتهم لذلك فهو يشير إليهم بأنهم (بنو الحمراء) أي دماؤهم غير عربية ، ولشقرتهم ، فهو لذلك ينادي بعروبته وأصوله التي تمتد إلى العرب الذين ورثوا منهم البطولة والمجد .

ونلتمس من قول أبي فراس مشاعره وشدة حبه وعلاقته بسيف الدولة قائلاً (٢١) :

قد كُنت عُدتي التي أسطو بها
ويدي إذا اشتد الزمانُ وساعدي

يشيد أبو فراس بمكانة سيف الدولة عنده ، فهو، العدة واليد التي يحارب ويدافع بها ، ويده التي تحمل السلاح مبيناً عمق العلاقة والمكانة التي يحتلها سيف الدولة في قلبه ، ومن هنا يتخلل مدح الشاعر بوصف المعارك والحروب التي كان سيف الدولة يقوم بها ، وترجع أسباب ذلك إلى الظروف السياسية والاجتماعية والأوضاع الأمنية في داخل البلاد وخارجها ، فقد كانوا في حروب دائمة ومناوشات عسكرية كثيرة(٢٢) .

وإذا جئنا إلى قول السعدي الإلبيري في أثناء حديثه عن سوّار بن حمدون (٢٣) :

جاءكم ماجد يقود إليكم
فتيةً منهم كمثل الأُسودِ
ماجد قد جرى إلى المجد حتى
نال بالسبق غاية التمجيدِ
ونمتهُ للجود آباءُ صدقٍ
وجُدُودٌ ما مثلهم من جدودِ
هبرزي مُهذَّبٌ من نزارٍ
وعميدٌ ما مثلهُ من عميدِ
يطلب الثأرَ ثأر قومٍ كرامٍ
أخذوا بالعهود بعد العهود
فاستباح الحمراء لم يُبقِ منهم
غير عانٍ في قيده مصفودِ

يطلق الشاعر على سوّار صفة الماجد الذي يقود المعركة منتصراً على أعدائه مع جنوده ، يقودهم بحكمة ودراية ، تدل على خبرته في المعارك وانتصاراته على الأعداء ، مؤكداً صفة المجد والكرم التي نالها واكتسبها من آبائه وأجداده ، فضلاً عن صفة الهبرزي والعميد والمهذب التي تدل على شجاعته وكونه الرجل الذي يعتمد عليه في كل الأمور فالبطولة تعني " الاندماج بالحياة ومواجهة كل صعابها والتمرد على وقائعها والثورة ضد قوانينها ومحاولة التغلب على مآسيها وفواجعها "(٢٤) .

ويكمل حديثه للأبيات السابقة قائلاً :

قد قتلنا منكم أُلوفا فما يعـ
دِل قتلُ الكريم قتلَ العبيدِ
قتلوه لما أضاف إليهم
لم يكن قتلهُ برأيٍ رشيدِ
قتلتهُ عبيدُ سوءٍ لئامٌ
وفِعالُ العبيد غيرُ حميدِ
لم يُصيبوا الرشاد فيما أتوهُ
لا ! ولا كان جدَّهم بسعيدِ !
قد غدرتم به بني اللؤم من بعـ
د يمين قد أُكدت بعهودِ
فلئن كان قتله غدرةً ما
كان بالنكسِ لا ولا الرعد يدِ

وبعد تلك المقدمة والإشادة بالملك والتغني بأمجاده ، يعرج على ذكر قتله والمصاب الذي أُصيب به ، لذلك فهم في نظره غدرة ، فيهم لؤمٌ وسوءُ بعدما قتل العديد منهم ، ويبدو من الأبيات أنَّ الشاعر يحس بالمرارة والانتقام ويتوعدهم بالقتل والتشريد ؛ لأن هذا القائد كانت تربطه بالشاعر علاقة وثيقة متينة ، فهو في خيبة أملٍ وحزن شديدين .

ويحكي بطولات القائد قائلاً فيها :

كان ليثاً يحمي الحروب وحصناً
وملاذاً وعصمة المصفودِ
كان فيه التقى مع الحلم والبا
س وجودٌ ما مثله من جودِ
عال مجد الأمجاد مجدك يا يحـ
يى قديماً وفُتَّ كلَّ مجيدِ
فجزاك الإلهُ جَنةَ عدنٍ
حيث يجزى الثواب كل شهيدِ

يبدو من أبياته الشعور بالفقد والحزن على شخص حاز المجد والعلى ، فكان ثوابه جنات عدن التي يجازي بها الله كل شهيد ، فضلاً عن حالة التأسف والأسى ، فقد كان ملاذاً وعصمة للمحتاجين. ومما يلحظ على أبيات القصيدة جميعها كثرة التكرار متمركزة بالألفاظ (الثأر ، الحر، ماجد المجد والتمجيد ، عميد ، ليث ، جدود ، العبيد ، الغدر ، الجود ، إرشاد الرشيد ، القتل) وكلها توحي بالبطولة والفروسية والمشاركة في الحروب والمعارك . وتدل على حسن اختيار الشاعر ودقة المعنى ، إذ يقوم الشاعر المبدع بعملية انتقاء الألفاظ والتراكيب من خلال ما يكرره بوعي منه يرفع من قيمة إيقاعه وموسيقاه (٢٥)

وفي أبيات للشاعر أبي فراس الحمداني يقول فيها (٢٦) :

لقد علمت سراة الحي: أنا
لنا الجبلُ الممنعُ جانباهُ
يفيء الراغبون إلى ذُراه
ويأوي الخائفون إلى حماهُ

يرى الشاعر في سيف الدولة الجبل الذي يستظل به ، والمأوى الذي يلتجأ إليه الخائف ويرتجيه طالباً مساعدته . ولكن سرعان ما تختلف الأوضاع ، ويظهر موقفه من ابن عمه بقوله (٢٧) :

يا ضارب الجيش بي في وسط مفرقه
لقد ضربت بنفس الصارم العضبِ
لا تحرز الدرع عني نفس صاحبها
ولا أجيرُ ذمام البيض واليلبِ
ولا أعُودُ برمحي غير منحطمٍ
ولا أروُحُ بسيفي غير مختضبِ
حتى تقول لك الأعداء راغمةً
" أضحى ابن عمك هذا فارس العربِ"

.....
.....

يا من يحاذر أن تمضي علىَّ يدٌ
مالي أراك لبيض الهند تسمحُ بي؟
وأنت بي من أضنّ الناس كلهم
فكيف تبذلني للسمر والقضب ؟

تكشف الأبيات عن تبدل الأحوال وتغير الأمور بينه وبين ابن عمه سيف الدولة لذلك نستشعر منها توجيه العتاب واللوم له على الرغم من المودة والصداقة والقرابة التي تربطهما معاً ، ومما يؤيد ذلك تباطؤ سيف الدولة في دفع الدية أو التأخر في دفعها ، لأنه كان يخاف من طموح الشاعر الذي لم يحده حدود ، ولم يترك الشاعر في بيت من أبياته المتقدمة إلاّ وذكر أداة من أدوات الحرب والمحارب التي تساعده في القتال وعنوانه الدال عليه الذي لا يضمحل (الصارم ، البيض ، الدرع ، واليلب ، والسيف ، والسمر) إذ تشير إلى شجاعته وكثرة خوضه للمعارك ومشاركته فيها .

ومن الجدير بالذكر أننا لم نجد موقفاً معادياً أو مختلفاً حدث بين الشاعر السعدي الإلبيري والقائد " سوّار بن حمدون " حتى أنه عندما رثاه أشاد

ببطولاته واصفاً إياه بكل ما يوصف به البطل من سجايا ، فهو الجواد والشجاع والصابر والمحتسب أمره إلى الله الذي خلّف بموته كل هذه الأخلاق والصفات ، موظفاً بحر الطويل بتفعيلاته الطويلة التي توضح ذلك أكثر ، وقد كان الشاعر موفقاً في اختياره هذا البحر كاشفاً عن أعماقه ومشاعره الحزينة الصادقة التي وضّحت النكبة التي أصابته ويتناغم معها أسلوب التكرار في الألفاظ (الصبر ، القبر ، الكفر) مركزاً على لفظة الصبر في إعطاء دلالة واسعة ومعنى كبير لهذا القرم الفارس له فيكون بذلك مُعيناً له وملجأ يحتمي به ، وتأتي معه قافية الراء وتكرار الحرف في كل شطر من أبيات المقطوعة فينتج ذلك الانسجام فيها بعبارات سهلة وبسيطة بعيدة عن التعقيد والحوشية يقول فيها (٢٨):

أمستنصراً بالصبر قد دُفن الصبرُ
مع الحسن المأمول إذ ضمه القبرُ
فيا عجباً للقبر منهُ يضمّه
وقد كان سهلُ الأرض يخشاه والوعرُ
وما مات ذاك الماجدُ القرمُ وحدهُ
بل الجودُ والإقدامُ والبأسُ والصبرُ
وإن يكن الشيطانُ زيَّن خيرةً
لقاتله في الكفرِ بل دونه الكفرُ
فشمسُ الضحى ترجو لفقدان نوره
وبدرُ الدجى يبكيه والأنجمُ الزهرُ !

نلحظ ملامح البطولة حتى وهو يرثي (سوّار بن حمدون) مبدياً تعجبه من القبر الذي ضم تلك الشخصية الكبيرة المعطاء ، فبموته قد ذهب معه الصبر والجود والإقدام والبأس ، ناعتاً مَنْ قتله بالكفر والعذاب ؛ لأنهم لم يعرفوا مكانته ، وتشاركه الطبيعة أحزانه فتبكيه النجوم والبدر وترجو من نوره الشمس .

وفي قصيدة الشاعر السعدي اللامية التي يتحدث فيها عن القائد سوّار قائلاً فيها (٢٩) :

وآخر منهم هارب قد تضايقت
به الأرض يهفو من جوى وبلابلِ
لقيتم لنا ملمومةً مستجيرةً ؟
تجيدُ ضراب الهام تحت الهواطلِ
بها من بني عدنان فتيان غارة
ومن آل قحطان كمثل الأجادلِ !
يقودهمُ ليثٌ هزبرٌ ضبارمٌ
محش حروبٍ ماجدٌ غيرُ خاملِ
أرومتهُ من خير قيسٍ نما به
إلى المجد قدماً والعلى كلُ فاضلِ

يستأنف الشاعر بعد المقدمة حديثه هذا مشيداً بشجاعة القائد (سوار بن حمدون) ونصرته ودرايته في هذه المعركة وعروبته وشدة بأسه وتأكيده قتلهم وحصد رؤوسهم ، فله أصول عربية قيسية ينتسب لها ، فالعرب من أشد الأمم تمسكاً بالأنساب ورعاية لها ، وقد ظهرت بشكل واضح في أدبهم القديم ولاسيما في شعر الحماسة ، وقد سرت هذه الظاهرة إليهم من جديد وذلك بعدّها أحدى الروابط القومية التي تشيع الثقة والاعتداد في نفوسهم ، وتوحي لهم بأنهم أحفاد أولئك الأبطال ، وربما كان الشعر في مقدمة الفنون استجابة لإبراز رابطة النسب القومي والاعتزاز بوحدة الأصل (٣٠) .

وينعى الشاعر أخوته مع القائد مظهراً صفاته ومزياه قائلاً :

أخو ثقةٍ محض النجار مهذبٌ
له حسبٌ زاكٍ كريمُ الأوائلِ
لهُ سورة قيسيةٌ عربيةٌ
بها ذاد عن دين الهدى كُلَّ جاهلِ
لقد سل سوارٌ عليكم مُهنداً
يحز به الهامات حزَّ المفاصلِ
به قتل الله الذين تحزَّبوا
علينا وكانوا أهل إفكٍ وباطلٍ
سما لبني الحمراء إذ حان حينهم
بجمعٍ شديدُ الركضِ جمُّ الصواهلِ
أدرتم رحى حَربٍ فدارتْ عليكمُ
بحتفٍ – قد افناكم به الله – عاجلِ !

يتضح إعجاب الشاعر من صديقه قائد المعركة في كثير من المواقع ، ففي كل الأبيات الشعرية نجده ينتهز الفرصة ملوحاً ببطولته ومشيداً بسعة صبره ، وقدرته في قيادة المعارك ، وكيفية انقضاضه على أعدائه، وكثرة من يقتل ويأسر ويفر الباقون منه كالجراد المنتشر . ف " قيمة الشجاعة كما يبدو أولى سمات الفرسان ، بل هي عماد ذخرهم ، ومدار فخرهم "(٣١)

٣- المظهر الثالث : الحنين إلى الأهل

لم يكن الفارس بعيداً عن الإحساس بأهله وحنينه إليهم ، فنلحظه يذكرهم كلما سنح له الوقت ، وتحت أي ظرف كان ، فهو على الرغم من المسؤوليات الملقاة على عاتقه فإنَّه لم ينس أهله

(والديه وزوجته وأولاده) وتذكره لهم يعني له اللوعة والفراق وإثارة الشجون والمشاعر الحزينة . لذلك تقترن ذكريات أبي فراس مع والدته التي يتذكرها في السجن بالحديث عن ذكرياته بالمدينة التي عاش فيها قائلاً (٣٢) :

لولا العجوز بـ "منبج" ما خفتُ أسباب المنيهْ
أمست بـ" منبج " حرةٌ بالحزن من بعدي حريهْ
لا زال يطرق "منبجاً" في كل غادية تحيهْ
أوصيك بالصبر الجميـ ل فإنه خير الوصيهْ !

ولم يكن حنين الشاعر الفارس وهو في السجن مقتصراً على والدته وإنما نجد له حنيناً عارماً ، وألماً محضاً ، يثير فيه لواعج الحسرة ، وتباريح الجوى كل ذلك يذكره بابنته ، وفيها يظهر الجانب الإنساني الذي يأخذ مساراً واسعاً في حياته ولاسيما عندما يكون في السجن قائلاً فيها (٣٣) :

أبنيتي لا تحزني! كل الأنام إلى ذهابْ
أبُنيتي صبراً جميـ ـلا للجليل من المصابْ!
نُوحي عَلَيّ بحسرةٍ! من خلف سترك والحجابْ!
قُولي إذا ناديتني وعييتْ عن ردَّ الجوابْ:
زَين الشباب " أبو فرا س" لم يُمَتَّع بالشبابْ!

وفي حديث السعدي الإلبيري عن أهله يقول (٣٤) :

فقد علم الفتيان أنّيَ كميّها
وفارسُها المقدامُ في ساعةِ الذُّعرِ
فيا ظاعناً أبلغْ سلاَمي تحيةُ
إلى والدي الهائمين لدى ذكري
وأَدَّ إلى عرسي السلام وقل لها
عليك تحياتي إلى موقف الحشرِ
بهّمك ألقى خالقي يوم موقفي
وكربك أقضي لي من القتل والأسرِ
وإن لم يكن قبرٌ فأحسن موطناً
من القبرِ للفتيانِ حوصلةُ النسرِ

ولأن الوصف الذي يستعين به الشاعر وصف واقعي وإنساني(٣٥) وفي أثناء حديثه عن المعارك والحروب نجده يوجه سلامه وهو في السجن إلى والديه وزوجته على أن يكون موقف زوجته منه موقف المساند والمؤيد له ؛ لأنه يكتسب منها العزم والصبر ، لا أن يكون موقفها موقف اللائم متخذاً من همها وكربها سبيلاً للقاء ربه وهو راضٍ عنه ، فهو المدافع والمجاهد عن وطنه ، وله منزلة الشهداء ، ويكون كربها يقضي على ما هو فيه من الأسر والقتل . ومن الملاحظ أنَّنا لم نجد لدى الشاعرين السعدي الإلبيري وأبي فِراس الحمداني اقتران ذكر الفروسية والشجاعة بذكر الحوار مع الزوجة اللائمة(٣٦) . ومن الجدير بالذكر أنَّ البيت الأخير يتناوله الشعراء الفرسان والصعاليك .

٤- المظهر الرابع : موقفهما من الأسر

كثيرة هي النكبات والنكسات التي يتعرض لها القائد والفارس في المعركة ، ومن هذه المحن محنة السجن التي يبدو فيها البطل منقطعاً عن كل مباهج الحياة وعن أهله ، يعاني من الغربة والضياع ، بعد أن كان قائداً في ساحات المعارك ، يقود الجيش والكتائب الجرارة الزاحفة في أصعب المواقف الدامية ، إذ تأتي أهمية النص الشعري من ذاته ، فهو من ناحية ثمرة فعل خلاق ، إنماز به الشاعر عمن سواه ، ومن ناحية ثانية محصلة لذات مبدعة بكل ما تحتويه هذه الذات من جوانب داخلية وخارجية ، ومن ناحية ثالثة الواسطة أو الأداة التي يتعرف بها متلقيه عن عوالم مبدعة وموقفه من واقعه وأصالة تجربته من زيفها (٣٧) ، وللشاعر أبي فراس الحمداني موقف من الأسر يقول فيه (٣٨) :

لمن جاهد الحّساد أجرُ المجاهدِ
وأعجزُ ما حاولتُ إرضاءَ حاسدِ
ألم يرَ هذا الدهرُ غيريَ فاضلاً؟
ولم يظفرِ الحسادُ قبلي بماجدِ؟!
أرى الغلَّ من تحت النفاق وأجتني
من العسلِ الماذي سُمَّ الأساودِ
وأصبرُ ما لم يُحْسبَ الصبرُ ذلةً
وألبس للمذمومَ حُلةَ حامدِ
خليلي ما أعددتَما لمتيمٍ
أسيرٍ لدى الأعداء جافي المراقدِ
جمعتُ سيوفَ الهند من كل بلدةٍ
وأعددتُ للهيجاءِ كلّ مُجالد
وأكثرتُ للغارات بيني وبينهم
بنات البكيريات حولَ المزاود
فإن عدتُ يوماً عادَ للحربِ والُعلا
وبذْل الندي والجود أكرمُ عائدِ

القارئ لهذه الأبيات يلحظ أنَّها مكونة من ألفاظ " الحرب ، الغارة ، الهيجاء ، السيوف ، المجاهد " فهي على الرغم من أنَّ سبب قولها في السجن ، إلا أنه يذكر الحرب وأجوائها من غارات ومعارك ؛ مما يدل على التأثر الواضح بهذه الأجواء وعدم

نسيانها موظفاً في ذلك أسلوب الجناس الاشتقاقي بين (الحاسد ، والحساد ، وجاهد ، ومجاهد ، وعاد ، وعائد) ، فضلاً عن التكرار في لفظتي الصبر والحسد مجرياً مقابلة وموضحاً الفرق بينه وبين أهله ، فهو يقابل حسدهم وحقدهم بالصبر والمهادنة ، فالمواقف متباينة بين مواقف أهله وأصحابه ، وموقف أهل السعدي الإلبيري وأصحابه ، إذ نستشعر حالة من الأمل والفرج بعد الضيق في قوله (٣٩) :

خليلي صبراً راحةُ الحرَّ في الصبر
ولا شيء مثلُ الصبرِ في الكربِ للحرَّ
فلا تيأسا من فرحةٍ بعد ترحةٍ
وأن تبأيا*باليسرِ من بعدِ ما عُسر !
فكم من أسيرٍ كان في القيد مُوثقاً
فأطلقهُ الرحمنُ من حلقِ الأسرِ
لئن كنت مأخوذاً أسيراً وكنتما
فليس على حرب ولكن على غدرِ
ولو كنت أخشى بعض ما قد أصابني
حمتني أطرافُ الردينية السُّمرِ

يوصي الشاعر نفسه وأصحابه بالتجمل والتجلد وهم في السجن " فالصبر مزية تعزز حزم البطل ووقاره وعدم جزعه في مواجهة الخطوب ، وفي اقترانه بالبطولة يجد تعبيره الواضح في حالة الانتصار والتغلب على الهلع والفزع في اقتحام الأهوال "(٤٠) ، فلعل من بعد العسر يسرا ، وبعد الحزن والألم الفرح ، والسرور ، فهو على الرغم من تجهيزه بعدته إلا أنَّ القدر لم يسعفه ، ولم يساعده من الوقوع بيد الأعداء ، فعسى أن يفك الرحمن قيده ، ويخرج من السجن ، علماً أنَّه أُسِرَ غدراً وبيده سيفه ، ولم يستطع أحدٌ أن يأخذه مأسوراً ، مؤكداً ألفاظ " الصبر ، الحر ، الأسر" ولم ينس وهو في السجن عدة المحارب وهي السيف والرمح .

٥- المظهر الخامس : ذكر عدة الحرب

لابد للمحارب من عدة حرب تكون دليلاً عليه ، ترمز إلى شجاعته ، وكثرة خوضه للمعارك ، فهي أدوات ملازمة له دائمة الوجود معه ، فلا محارب من دون عدة ، ولا عدة من دون محارب .

ففي قول الشاعر أبي فراس الحمداني في فرسه (٤١) :

ومهري لا يمسُّ الأرض زهواً
كأنَّ ترابها قطبُ النبالِ
كأنَّ الخيلَ تعرف من عليها
ففي بعض على بعض تعالي

لقد اكتسب الفرس زهوه وعلوه من الفارس الذي يمتطيه ، فعنوان الفارس من فرسه فهو من أدواته وعدته التي ينماز بها البطل في ساحات المعركة فأنه يأخذ صولاته من فارسه الذي يقوده ويوضح له طريقه

وما يسلكه ، وقد اكتسب معاني الإباء والشموخ والعزة من الفارس " فالفرس رمز عن مواجهة العدو في ساحة الحرب "(٤٢) .

أما في قول الشاعر السعدي الإلبيري نلاحظ أنَّ يوظفه ألفاظ الحرب ومنها(الثأر ، القتل ، الموت ، السيوف)(٤٣) :

قد طلبنا بثأرنا فقتلنا
منكمُ كُلّ مارقٍ وعنيدِ
قد قتلناكُمُ بيحى وما إنْ
كان حكم الإله بالمردودِ
هِجتمُ يا بني العُبود لُيوثاً
لم يكونوا عن ثأرهم بقعودِ
فاصطلوا حرَّها وحرَّ سيوفٍ
تتلظَّى عليكمُ كالوقودِ
لم تزالوا تبغونها عِوَجاً حتى
وردتمُ للموتِ شرَّ ورودِ

تبدو في هذه الأبيات الثارات والأخذ بها فهم طلبوا ثأرهم ، وقتلوهم بعد نصرة الله لهم ، لأنَّهم أصحاب حق ،وقد أحسن الشاعر اختيار لفظة(اصطلوا ، وتتلظى) لتدل على شدة وقع الحرب ، ووقع السيوف ، وعزم الجيوش على القتال ، فأصبحوا مثل الليوث الهائجة الكاسرة طلباً لثأرهم . فدوافع البطولة كانت " نابعة من إيمانه بالقدر ، وإيمانه بالخلود بالقضية الحية التي يطيب من أجلها الاستشهاد ، ويُحمد فيها الخلود ويستطاب بذكرها الحديث الدائم وقد دفعه هذا الإيمان إلى أن يخوض الحرب بلا خوف ، ويصارع الطغيان بلا هوادة ، وينشد الحرية بلا تردد ، وكان أطار فلسفة البطولة الحربية يتحقق في ذات البطل من خلال إيمانه بأنَّ اقتحام الحرب لا يقرب الأجل وخوض المنايا مجال يمكن أن يبدي فيه الإنسان من ضروب البسالة والشجاعة ما يرفعه إلى مصاف الأبطال ، ويحفظ له الذكر الحميد " (٤٤) .

وفي هذه الأبيات يعلي الشاعر من سيفه ويجعله كل شيء له موضحاً ذلك بقوله (٤٥):

ومن كان غيرَ السيفِ كافلَ رزْقِهِ
فللذُّلِّ فيه لا محالةَ جانبُ

يعطينا الشاعر وجهة نظره في الحياة وهي من دون السيف والرمح كيف تكون ؟ عاكساً وجهة نظر كئيبة مقيتة قلقلة لا تبعث الأمل وحب الحياة فيها التحدي ومواجهة الخوف والتصدي لها ، وهذه النظرة لا يمتلكها إلاّ المحارب الفارس الشجاع الذي له باع طويل في الحرب وفض نزاعاتها " وفي كل الحروب يكاد ينعقد الإجماع على أن مسالة الحرب هي مسألة نفسية سواء في قيامها ، أم في إدارتها ..."(٤٦) .

وتتشابه الرؤية لدى الشاعرين في تفضيل عدة الحرب وعدم امتلاكهم لأي شيء سوى الدرع والسيف والرمح وهذه الصورة عكسها الشاعر أبو فراس الحمداني بقوله (٤٧) :

بخلتُ بنفسي أن يُقال مُبخّلٌ
وأقدمتُ جُبناً أنْ يُقال جبانُ
وملكي بقايا ما وهبتُ مفاضة
ورمحٌ وسيفٌ صارمٌ وسنانُ

لذلك فهو يعلن عدم امتلاكه أي شيء من الحياة سوى درعه ورمحه وسيفه ، بعد أن ضحَّى بالغالي والنفيس ، وهذه الأبيات تظهر من جانب فروسيته ، وعدم انشغال حياته بأي مباهج الدنيا ، ومن جانب أخر حبَّه وشدة تعلقه بأجواء الحرب والقتال دفاعاً منه وإيماناً بعدالة قضيته والانتصار لأهدافه ومبادئه " ... فالشاعر أولاً إنسان وهو مطالب – كإنسان – أنْ يقاوم العدوان دفاعاً عن شعبه وقوميته وإنسانيته وهو – كشاعر – مطالب بأن يصف هذا الذي يفعله " (٤٨) .

وقريباً من هذا القول قول الشاعر السعدي الإلبيري (٤٩) :

الدرعُ قد صارت شعاري فما
أبسط حاشاها لتهجاعِ
والسيفُ قد قصّرهُ صانعٌ
طوّلهُ يومَ الوغى باعي !
وما كُميتي لي بمستقصرٍ
إذا دعاني للّقا داعِ
هذا الذي أسعى له جاهداً
كلّ امرئٍ في شأنهِ ساعِ

يجعل الشاعر من عدة حربه الدرع والسيف وفرسه كل ما يملكه ويعنيه مركزاً على هذه العدة وكأن الحياة تعني له القتال والوجود في ساحات المعركة دفاعاً وحفاظاً على وطنه .

ويظهر في قول أبي فراس الحمداني عندما كتب إليه أبو الحسن محمد بن محمد الأسمر ، يوصيه بالصبر والتجلد فأجابه بهذه الأبيات (٥٠) :

وقد علمت أمي بأن منيتي
بحدَّ سنان أو بحدَّ قضيبِ

مشاعر البطولة حتى في أثناء حديثه عن والدته وهو يخبرها بأن موته سوف يكون بالرمح أو السيف فهو دائم البقاء معها لا يتركها ومشيرة إلى كثرة خوضه المعارك ودفاعه عن وطنه في أي وقت وتحت أي ظرف كان .

ومما يعزز قول أبي فراس الحمداني في تفضيل موته بين عدته (٥١) :

متى ما يَدْنُ من أجلي كتابي
أمُتْ بين الأعِنَّة والأسِنّة

وهنا يقدم الشاعر المعنى نفسه وقراءة مصيره وما سيوؤل إليه حاله ، وكأنه يعرف مسبقاً نهايته في حالة من اليأس وفقدان الأمل من الحياة ، فلا بد للفارس من أن يكون مُهيَّئاً دائماً للموت مستقبلاً له.

وقال السعدي الإلبيري : (٥٢)

يقول بنو الحمراء لو أنَّ جنحنا
يطيرُ لعشاكم بشؤبوب وابلِ
وضقتم به ذرعاً وجاشت نفوسكم
وما منعتكم مانعاتُ المعاقلِ
فقد كان طردُ الجنح إذ طار نحونا
كذبان حُش أو كدود المزابلِ
وهاجت شآبيبُ الحُتوف عليكمُ
برعدٍ وبرقٍ سجمٍ هواطلِ
لظلت سيوف الهند تحصد جمعكم
حصاد زروع أينعت للمناجلِ
ولما رأونا راجفين إليهمُ
تولوا سراعاً خوف وقع المناصلِ
فسرنا إليهم والرماحُ تنوشهم
كوقع الصياصي تحت رهج القساطلِ
فلم يبقَ منهم غير عانٍ مصفدّ
يقادُ أسيراً موثقاً في السلاسلِ

تبرز ملامح الصورة لدى الشاعر من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الأعداء مبرزاً هيبتهم وسطوتهم وشجاعتهم في المعارك مشيراً إلى عمل السيوف والرماح التي أخذت دورها في

القتال ، وهم على الرغم من كثرة عددهم وعدتهم إلا أنهم تمكنوا من السيطرة عليهم ، ما بين قتيل وأسير .

٦ـ المظهر السادس : القيم الذاتية

طالما يفتخر الفارس بفروسيته فيذكر شجاعته وكرمه والقيادة والخبرة والدراية في خوض المعارك " فالبطل مهما كان قوياً وشجاعاً ، لا يبلغ مرتبة البطولة الحقة ، إلا إذا كان مفوهاً في الشعر قَدر شجاعته في القتال"(٥٣) متمثلاً في قول أبي فِراس (٥٤) :

أَفرُّ من السوء لا أفعلهْ
ومن موقف الضيم لا أقبلهْ
وأبذل عدلِيَ للأضعفين
وللشامخ الأنف لا أبذلهْ

تترجم هذه الأبيات الشيمة والأنفة التي يمتلكها بابتعاده عن كل المآثم والأعمال الدنيئة التي تسيء له ، فهو يدافع عن المستضعفين مبتعداً عن كل المواقف المشينة فـ " المقاومة في الأدب بشعره ونثره ... تستند إلى الرفض والتمرد ضد كل ما من شأنه تشويه حرية الإنسان في هذا العالم "(٥٥) فهو يؤكد نفيه للفعل بتكراره للفعلين (أفعله ، أقبله) فهو يفر فراراً لا رجعة فيها من الأعمال السيئة التي تسيء إليه وفي المقابل يأتي بالفعل(أبذله) فمرة يثبت الفعل وهو عدله ، ثم يأتي بصيغة الفعل نفسه نافياً عنه صفة التكبر والتجبر مؤكداً صيغة الأنا التي تكون من الفروسية يتضح في أبيات الشاعر عندما يشيد بنفسه ويذكر سجاياه

وما نستنتجه من قول أبي فراس الحمداني (٥٦) :

ألاّ ليت قومي والأماني كثيرة
شهوديَ والأرواحُ غير لوابثِ
غداة تناديني الفوارسُ والقنا
تردّ إلى حدّ الظبا كلَّ ناكثِ
أحارث أن لم تصدر الرمح قانيا
ولم تدفع الجلَّى فلست "بحارث"

يستفتح الشاعر أبياته بالتمني وتوجيه الكلام لقومه ؛ لأن لديه أماني كثيرة ، وأرواح تركها صرعى في المعركة ، فسمة افتتاح أبيات الشاعر ولا سيما بالأداة (ألاّ) مع التمني ، يفتتح بها الشاعر البطل الذي يخبر دروب المعارك موجهاً خطابه لنفسه بأن لا يترك رمحه من دون قتل ويكون ملطخاً بالدماء لكثرة القتلى والصرعى " والشاعر بلا شك يحب نفسه ، ويقدر قيمتها ، وقد تضافرت فيه مجموعة عوامل ترفعه إلى أن يثق بنفسه ثقة قوية ، ويعلي من شأنها أيما إعلاء فهو الأمير... والفارس الذي خبرته المعارك لا يعود منها إلا وسيفه متخضب بدم الأعداء ورمحه محطم في صدورهم " (٥٧) وبأسلوب رد العجز على الصدر نادى اسمه باعثاً في نفسه الشيمة والعزيمة في المواجهة والدفاع .

فضلاً عن ذلك يمجد الشاعر صفاته بقوله (٥٨) :

ولا تصِفنَّ الحربَ عندي فإنَّها
طعاميَ مُذ بعثُ الصِّبا وشرابي
وقد عرفتْ وقعَ المسامير مهجتي
وشقّق عن زرقِ النَّصول إهابي
ولججُت في حلو الزمان ومرَّه
وأنفقتُ من عمري بغير حسابِ

الخبرة والدراية والعلم في المعارك والحروب وكثرة النزالات التي شارك فيها وعودته منتصراً رافعاً راية العز والكرامة والآباء ، هي ما يمجدها الشاعر في نفسه ؛ لذلك يطلب النهي عن وصف الحرب له ؛ لأنه خاض الحرب وهو ما زال صغيراً ، وخبر أوصافها ومعانيها مشبهاً أهميتها بالنسبة إليه بالطعام والشراب الذي لا يمكن الاستغناء عنه ؛ لذا فـ " أن شجاعة أبي فِراس مطمح شخصي ؛ وجد بوادره في نفسه ؛ فسعى لتنميته وتفعيله ، إذ ساعدته عوامل عدة منها : بيئية واجتماعية ودينية حتى صارت الشجاعة عنده عنوانا يتغنى به ويذكره ، وصفة ثابتة في ذاته ، شكلت جزءاً مهماً في شخصيته "(٥٩) ويأتي التضاد بين (الحلو ، والمر) في البيت كاشفاً عن المرارة ، وكثرة النوائب ، والخبرة التي أصبحت لديه ، فهو الخبير بالحياة العارف بفنونها .

ونلتمس في قول أبي فراس الحمداني (٦٠) :

ولكنّني أختار موت بني أبي
على صهواتِ الخيلِ غيرِ موسّدِ
وتأبى ، وآبى أن أموتَ موَّسدا
بأيدي النصارى موتَ أكمدِ أكبدِ

طريق التضحية والفداء وورود حياض الموت والردى هو الذي اختاره الشاعر ، فلا تنفك أبياته من ظاهرة التكرار والجناس بين الألفاظ التي يوضح فيها مواقفه واتجاهاته ، لذلك أضحى قانعاً راضياً لا مستسلماً جباناً يعاني الذلة والهوان ، ولم يفضل مكان الراحة والاستقرار وهو يعيش أجواءً ملوكية مرفهةً لقربه من ملوك حمدان لاسيما سيف

الدولة الحمداني الذي كان صورة من صور البطل العربي .

ولم يك الموت أمراً يستهجنه الشاعر أو يهرب منه إذ يتضح ذلك في قوله (٦١) :

حملتُ على ورود الموت نفسي
وقلتُ لعصبتي " موتوا كراما "

وكأن الطريق الذي سلكه يؤدي به إلى قرار لا مفر منه ، ومع ذلك فأنه أصّر عليه ، لأنه مؤمن بأن الموت بهذه الطريقة يخلده ويجلب الكرامة له ولأصدقائه بعيدا عن العار والخزي وحياة الذلة والجبن و " لا نلمح أي أثر للزيف أو المبالغة فيها ، لأن الشاعر واقعي ، كان قدْر الصفة وأكثر ، وما أجمل ما قدمه لنا عن بسالته... صورة تثير الإعجاب والرهبة والهيبة في آنٍ"(٦٢) ونجد ضمائر الأنا التي تظهر حديث الشاعر عن نفسه وإعجابه ببطولاته وكثرة قيادته للمعارك ، حتى انه أصبح يألف الموت وينتظره . فظهور سمة الأنا" تبين مدى الاهتمام بمواقف البطل في مواجهة الضغوط والاحباطات ، ومدى قدرته على التحكم بانفعالاته ، فالبطل الذكر يعيش صراعات متنوعة تشكل جانباً كبيراً من استجاباته ...."(٦٣) وهذا يفسر لنا طغيان ضمير الأنا عند الشاعر الحمداني ، وعدم طغيانه عند السعدي الإلبيري وظهور ضمير الجماعة لديه .

الخاتمة

هناك مشتركات تجمع شخصيتي أبي فراس والسعدي الإلبيري تتمثل في الموضوع نفسه ، وقيادة الجيش ، وانتظار الأجل ، وتوقع حدوثه في أي لحظة وهما في ساحة المعركة ، وطغيان ضمير ، الأنا وبروز ملامح الفخر بالنفس والقبيلة ، وقيادة المعركة ومجابهة المصائب والأحداث المؤلمة المؤدية إلى الهلاك ، وطغيان ضمير الجماعة على الأنا عند الشاعر السعدي الإلبيري ، فضلاً عن تعرض الاثنين لمحنة السجن ، وحنينهما إلى الأهل ، وظهور التكرار والجناس الاشتقاقي اللذين يؤديان دوراً مهماً وواضحاً في إظهار بطولاتهما وصولاتهما في المعارك وتأكيد شجاعتهما ، ولم يقتصر نظمهما على بحور بعينها وإنما نظما على مختلف البحور الشعرية ، ولم يكن هناك طغيانٌ لبحر من دون بحر أخر أو تفضيل أحدهما على الأخر بعدَّ هذا البحر يناسب هكذا موضوع ولا يناسبه بحر آخر ، ولم نجد للأراجيز حضور في أشعارهما ، والمشاعر والأحاسيس الصادقة عبّرت عن لحظة من لحظات خوض المعارك وقيادتهم لها ، والصور التي رسمها الشاعر توحي بالقوة والشجاعة والمقدرة ، وكانت اللغة بسيطة واضحة بعيدة عن الغرابة والتعقيد ، ودقة المعنى وحسن اختيار الألفاظ والعبارات ، كثرة شعر الفروسية والفخر لدى أبي فراس قياساً بشعر السعدي الإلبيري لأنه تعرض للفقد والضياع كما يروي جامع شعره د٠ محمد رضوان الداية على إنني حرصت على ذكر القصائد والمقطوعات الخاصة بهذا الموضوع جميعاً.

قائمة الهوامش

١) عصر الدول والإمارات (الشام) د٠ شوقي ضيف : ٢٢٤ .
٢) في الأدب الأندلسي : د٠ محمد رضوان الداية : ٢٩٦ .
٣) ينظر : السعدي الإلبيري الأندلسي : د٠ محمد رضوان الداية : ٢٥ .
٤) الإحساس بالعروبة في شعر الشريف الرضي :د٠ عصام عبد علي ، مجلة آداب المستنصرية ، ع ٥ ، ١٩٨٠ :٢٩٣ .
٥) ينظر : التطلع القومي عند المتنبي : جاسم محسن عبود : ٨٥ .
٦) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث : محمد علي كندي : ٢٠١ – ٢٠٢ .
٧) أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف : د٠ مرشد منيف : ٣٢ .
٨) ديوان أبي فراس الحمداني : شرح د٠ خليل الدويهي : ١٦٤ .
٩) في النقد الجمالي رُوية في الشعر الجاهلي : د٠ أحمد محمود خليل : ١٢٠ .
١٠) ديوان أبي فراس الحمداني : ٢٥٩ .
١١) موسيقى الشعر :د٠ إبراهيم أنيس : ١٧٨ .
١٢) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٧٥ .
١٣) ديوان أبي فراس الحمداني : ٦٥ .
١٤) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٧٥ .
١٥) ينظر : الشعر في إطار العصر الثوري :د٠ عز الدين إسماعيل : ٧٩ .
١٦) ديوان أبي فراس الحمداني : ٣٢٣ .
١٧) ينظر:غزل الفرسان في الشعر الجاهلي: سعد إبراهيم عبد المجيد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة :٦١
١٨) تاريخ الأدب الحديث في سورية : د٠ عمر الدقاق : ٢٦٧ .ديوان أبي فراس الحمداني : ٤١ .
١٩) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٩٧ ـ ٩٨ .
٢٠) ديوان أبي فراس الحمداني : ١١٠ .
٢١) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : د٠ نبيل خليل أبو حاتم : ١٣٢ .
٢٢) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٧٨ _ ٧٩ .
٢٣) مواقف وقضايا أدبية : سهيل إدريس : ١١٥ .
٢٤) ينظر : قراءات في الشعر العباسي : د٠ ماجد ياسين الجعافرة : ٧٩ .
٢٥) ديوان أبي فراس الحمداني : ٣٤٨ .
٢٦) المصدر نفسه : ٦١ .
٢٧) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٨٠ .
٢٨) المصدر نفسه : ٩٣ – ٩٤ .

٢٩) ينظر : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث : د٠ عمر الدقاق : ٢٠٩ .
٣٠) غزل الفرسان في الشعر الجاهلي : ٥٩ .
٣١) ديوان أبي فراس الحمداني : ٣٥٥ .
٣٢) المصدر نفسه : ٥٩ .
٣٣) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٨٤ .
٣٤) ينظر : روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة :د٠ عز الدين إسماعيل : ٥١ .
٣٥) ينظر : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول : د٠ حسين عطوان : ٢٠٠ وما بعدها .
٣٦) ينظر : في قراءة النص : قاسم المومني : ٤١ .
٣٧) ديوان أبي فراس الحمداني : ٩٩ ـ ١٠١ .
٣٨) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٨٤ . * تبأيا الشيء : أصلحه وجمعه / سعيد بن جودي :٨٤ .
٣٩) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام : د٠ مؤيد اليوزبكي : ٢١٠ .
٤٠) ديوان أبي فراس الحمداني : ٢٧١ .
٤١) ملامح من صورة البطل عند المتنبي وقيمتها الفنية :د٠ مصطفى عبد الحميد : ١٨٣ ، وينظر : قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري :د٠ محمود عبد الله الجادر : ٥٤ ، وتجليات الطبيعة والحيوان في الشعر الأموي :د٠ ثناء أنس الوجود : ٦٦ .
٤٢) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٧٧ ـ٧٨ .
٤٣) البطل في التراث :د٠ نوري حمودي القيسي : ١١ .
٤٤) ديوان أبي فراس الحمداني : ٤٤ .
٤٥) الموسوعة النفسية ، علم النفس في حياتنا اليومية : عبد المنعم الحفني : ٣٣٧ .
٤٦) ديوان أبي فراس الحمداني : ٣٢٨ .
٤٧) خطوات في النقد الأدبي : خليل كلفت : ٩٧ .
٤٨) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٨٨ .
٤٩) ديوان أبي فراس الحمداني : ٥٤ .
٥٠) المصدر نفسه : ٣٢٧ .
٥١) السعدي الإلبيري الأندلسي : ٩٢ – ٩٤ .
٥٢) سيرة عنترة : د٠ محمود ذهني : ٤٧ .
٥٣) ديوان أبي فراس الحمداني : ٢٦١ .
٥٤) أسفار في النقد والترجمة : د٠ عناد غزوان : ٢٦ .
٥٥) ديوان أبي فِراس الحمداني : ٦٧ .
٥٦) أبو فِراس الحمداني ، حياته ، شعره : محمد العريسي : ١٢ .
٥٧) ديوان أبي فراس الحمداني : ٥١ .
٥٨) صورة الذات بين أبي فِراس الحمداني ومحمود سامي البارودي : ياسر علي عيد سلمان : ٤٩ .
٥٩) ديوان أبي فراس الحمداني : ٩٦ .
٦٠) المصدر نفسه : ٢٨٩ .
٦١) النصوص الأدبية المختارة :د٠ علي حسين العتوم : ٥٤ .
٦٢) سمات البطولة والجنوسة في قصص ألف ليلة وليلة : عبد الرسول عداي : ١١٥ .

قائمة المصادر والمراجع

- أبو فراس الحمداني ، حياته ، شعره : محمد العريسي ، ط١ ، دار اليوسف (بيروت ـ ٢٠٠٦)
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : د٠ نبيل خليل أبو حاتم ، دار الثقافة (الدوحة ـ ١٩٨٥)
- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث : د٠ عمر الدقاق ، ط٣ ، منشورات جامعة حلب (سورية ـ ١٩٧٧)
- أسفار في النقد والترجمة : د٠ عناد غزوان ، ط١ (بغداد ـ ٢٠٠٥)
- أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف : د٠ مرشد أحمد ، دار التكوين (دمشق ـ ٢٠٠٩)
- البطل في التراث : د٠ نوري حمودي القيسي ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ـ ١٩٨٨)
- البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام : د٠ مؤيد اليوزبكي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ـ ٢٠٠٨)
- تاريخ الأدب الحديث في سورية : د٠ عمر الدقاق ، منشورات جامعة حلب (سوريا ـ ١٩٧٦)
- تجليات الطبيعة والحيوان في الشعر الأموي : د٠ ثناء أنس الوجود ، ط١ ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر (مصر ـ ١٩٩٨)
- التطلع القومي عند المتنبي : جاسم محسن عبود ، دار الحرية للطباعة (بغداد ـ ١٩٧٦)
- خطوات في النقد الأدبي : خليل كلفت ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ـ ٢٠٠٥)
- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) محمد علي كندي ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة (ليبيا ـ ٢٠٠٣)
- روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة : د٠ عز الدين إسماعيل ، دار الرائد العربي (لبنان ـ ١٩٧٨)
- سمات البطولة والجنوسة في قصص ألف ليلة وليلة ، عبد الرسول عداي ، ط١ (بغداد ـ ٢٠٠٩)
- سيرة عنترة : د٠ محمود ذهني ، دط ، دار المعارف (القاهرة ـ ١٩٧٩)

- الشعر الثوري في أطار العصر الثوري : د٠ عز الدين إسماعيل ، ط١ ، دار القلم (بيروت - ١٩٧٤)
صورة الذات بين أبي فِراس الحمداني ومحمود سامي البارودي (دراسة مقارنة) ياسر علي عبيد سلمان ، دار نينوى (سوريا - ٢٠٠٨)
http://thiqaruni.org/arabic/70.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/72.pdf
- عصر الدول والإمارات (الشام) :د٠ شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف (القاهرة - ٢٠٠٣)
- في الأدب الأندلسي : د٠ محمد رضوان الداية ، ط١ ، دار الفكر المعاصر (بيروت - ٢٠٠٠)
- في قراءة النص : قاسم المومني ، ط١ ، دار الفارس (الأردن - ١٩٩٩)
- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي : د٠ أحمد محمود خليل ، دار الفكر (دمشق - ١٩٩٦)
- قراءات في الشعر العباسي : د٠ ماجد ياسين الجعافرة ، مؤسسة حمادة (أربد - ٢٠٠٣)
- قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري : د٠ محمود عبد الله الجادر ، ط١ ،دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد - ٢٠٠٢)
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول:د٠حسين عطوان، ط٢، دار الجيل(بيروت - ١٩٧٨)
- مواقف وقضايا أدبية : سهيل إدريس ، ط١ ، دار الآداب (بيروت - ١٩٧٧)
- الموسوعة النفسية ، علم النفس في حياتنا اليومية :د٠عبد المنعم الحفني ، ط١ ، مطبعة مدبولي (القاهرة – ١٩٩٥)
- موسيقى الشعر : د٠ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية (مصر - ١٩٧٢)
- النصوص الأدبية المختارة : د٠ علي حسين العتوم ، ط١ ، مكتبة الفلاح (بيروت - ١٩٩٥)

الدوريات

- الإحساس بالعروبة في شعر الشريف الرضي : د٠ عصام عبد علي ، مجلة آداب المستنصرية ، ع ٥ ، ١٩٨٠ .
- ملامح من صورة البطل عند المتنبي وقيمتها الفنية : د٠ مصطفى عبد الحميد ، مجلة آداب البصرة ، ١٠ ، السنة التاسعة ، ١٩٧٦ .

الرسائل الجامعية

- غزل الفرسان في الشعر الجاهلي : سعد إبراهيم عبد المجيد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٩٩٥ . http://thiqaruni.org/arabic/73.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/74.pdf

The Equestrian between Abi Firas Al-Hamdani and Saadi Alpiri: A Technical Study

Abstract

The best deal of Poetry's purposes can be appeared for the poets: Abu Firas Al-Hamdani and Andalusian Saadi Alpiri in its purpose of pride, especially aspects of equestrian and tournament in their poetry. This research refers to aspects of the heroism of the poets. The two poets had participated in wars and battles that have had a significant impact on the emergence of several wars, and knowledge of expectation of occurrence in the war, and even preferring death in the arena of battle. Abu Firas Al-Hamdani and Saadi Alpiri are affected by certain character who had a major impact in their lives: Saif Al-Dawla and Swar bin Hamdoon, were leaders in the battles, as well as borh of had been arrested. It has been noticed that Al-Saadi has nostalgia to his parents and his wife, while Abu Firas has nostalgia to his mother and his daughter. We observe in the poetry of Abu Firas the phenomenon of the ego more than Saadi Alpiri's poetry. However, we have seen that Al-Saadi uses plural pronouns in his poetry in admirable way. this is due to the nature of personalities, and their viewpoints of the society, or the community's attitudes towards

them. As well as the psychological state experienced by the poet.